الفصل السادس

الثواب والعقاب

الناس قبل قانون الأثر الذي صاغه "ثورنديك[1]" كانوا دائمًا يرون أن للعقاب شروطًا يجب أن تُراعى كي يكون مثمراً، منها أنه يجب أن يتلو الذنب مباشرة، وألا يكون من الخفة بحيث لا يجدي، أو من الشدة بحيث يشعر بالظلم، أو من النوع الذي يجرح الكبرياء؛ كما أن الإسراف في العقاب يذهب بقيمته، كذلك الحال في التهديد دون عقاب، ثم جاءت التجارب تؤيد هذه الشروط وتزيد عليها أن الثواب أقوى وأبقى أثراً من العقاب وبخاصة في عملية التعلم، وأن المدح أقوى أثراً من الذم بوجه عام[2].

والثواب شكل من أشكال التعزيز الموجب للسلوك الذي يهدف الباحث إلى تغييره أو تثبيته، وذلك بربط هذا السلوك بمجموعة من الحوافز المادية أو المعنوية. وبذلك فإن الفرد يسعى للحصول على تلك الإثابة باعتبارها تحقق له إشباعًا، ولكون المشاعر سارة فهي إذاً تؤكد الميل لتكراره، وترفع الروح المعنوية للفرد[3].

والعقاب Punishment إيقاع الجزاء على شخص؛ لأن سلوكه مرفوض. وتتمثل العقوبة في أي شكل من أشكال عدم الرضا، مثل إيجاد مثير مؤلم ماديًا أو اجتماعيًا، أو إنكار حق الفرد في ميزة كان يحصل عليها من قبل[4].

كما أن الجمع بين الثواب والعقاب أفضل في كثير من الأحوال من اصطناع كل منهما على حده، فيستخدم العقاب لكف السلوك المعوج حتى يستقيم فيثاب عليه الفرد، "**من يزرع شيء يضمه**"، فيكون العقاب في هذه الحالة بمثابة ألم مؤقت في سبيل لذة أكثر دواماً، علاوة على أن العقاب المعتدل مدعاة في كثير من الأحيان إلى الحذر وتجنب الأخطاء، أما العقاب الذي يجرح الكبرياء، أو الذي يتخذ شكل توبيخ علني قد تزيد أضراره على فوائده، فقد يولد في نفس المعاقب الكراهية والشعور بالنقص وفقد الثقة بالنفس.

والثواب هو تعزيز لسلوك سوي، "**من دق الباب سمع الجواب**"، ويتم ذلك بإثابة الفرد

---

(1) ثورنديك Thorndike (1874-1949) عالم نفس أمريكي، واضع نظرية التعلم بالمحاولة والخطأ، عمل طوال حياته أستاذاً بكلية المعلمين في كولومبيا.

(2) راجح، مرجع سابق، ص 280-281 بتصرف.

(3) شاكر قنديل (في) فرج طه، مرجع سابق، ص60-61

(4) السابق، ص782

على السلوك السوي المرغوب بما يدفعه إلى تكرار نفس السلوك إذا تكرر الموقف، ويكون بأي شيء مادي أو معنوي يؤدي إلى رضا الفرد. وقد استخدم هذا الأسلوب بنجاح في علاج فقدان الشهية العصبي وحالات الخمول وحالات الانطواء وحالات السلوك المضاد للمجتمع. أما العقاب فيكون في حالة قيام الفرد بسلوك غير مرغوب وذلك لكفه ووقفه كليًا، ومن أشكال العقاب ما يكون ماديًا أو جسميًا مثل: الضرب، أو اجتماعيًا مثل: التوبيخ[1].

"**آخر خدمة الغُزّ علقة**"، "**إللي ينوي على حرق الأجران ياخده ربنا في الفريك**"، "**جاك الموت يا تارك الصلاة**"، "**الزيادة في الوقف حلال**"، "**قالوا ياما البطيخ كسَّر جِمال قال وياما الجمال كسَّرت بطيخ**"، أي أن الجزاء من جنس العمل. "**كِلمة الفمّ سلف ولو بعد حين**"، أي سترد الكلمة لصاحبها عاجلاً أو آجلاً فيجازى بمثله، ومثله المثل القائل: "**كله سلف ودين حتى المشي على الرجلين**". (ثواب)، "**من رش دش**"، أي من بذر الأرض كان له حب يدشه، وهو من باب: "**من جد وجد**". "**من قدم السبت يلقى الحد قدامه**" فإن قدم خيراً وجده خيراً، والعكس.

وتجدر الإشارة إلى أن التربية التي تقوم على العنف والتعسف والقهر والتسلط ومصادرة الحرية، هي أقصر الطرق لتحطيم الفرد، وتدمير المجتمع. فالتربية لابد وأن تسعى إلى تفجير طاقات الفرد، وبناء شخصية الإنسان بشكل شامل ومتكامل ومتوازن، كما يجب أن نضع نصب أعيننا إعداد الفرد المفكر والمبدع والمتفوق، حتى نتمكن من إيجاد فرد قادر على مواجهة زمان أصبح للعولمة فيه تأثير كبير في العالم بشكل عام، وفي الوطن العربي بشكل خاص، مع ما تفرضه من تحديات وتوجده من قضايا، وتفتحه من آفاق وفرص، وتجلبه من مشكلات. ولا يمكن للثقافة العربية مواجهة هذا التحدي إذا لم تسندها تربية قوية وحرة وديمقراطية[2].

---

(1) زهران، مرجع سابق، ص249-250 بتصرف.

(2) يزيد السورطي (2009) . السلطوية في التربية العربية. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: عالم المعرفة. عدد:362. ص8 .

يقول محسن خضر: إن الاستبداد والتسلط كإرث سياسي وثقافي نجد صداه وتجلياته عبر وسائط التنشئة الاجتماعية المختلفة، وبالتالي فإن مواجهة شتى صور انتهاكات كرامة الإنسان وحقوقه، وخاصة داخل المؤسسات التعليمية رهينة إلى حد كبير بفهم وتقويم الاستبداد السياسي والثقافي في المجتمع الكبير[1].

[1] محسن خضر (2011) . ظاهرة العقاب البدني في المدرسة العربية. مجلة العربي. عدد630 .